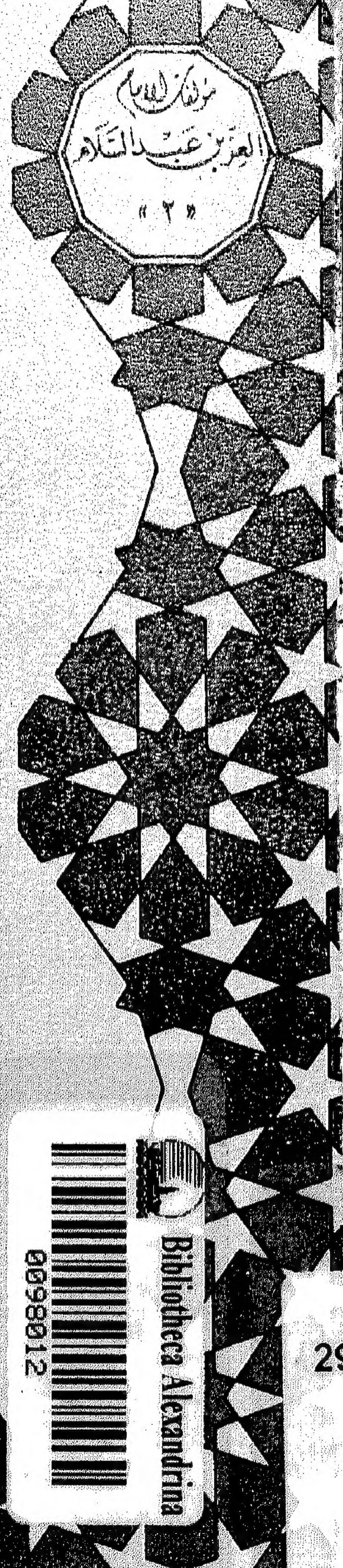


رسائل في التوحيد

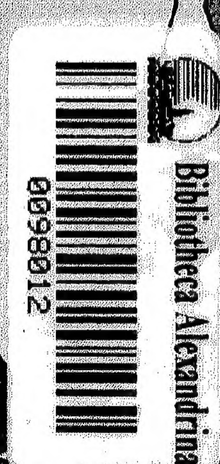
الملحة في اعتقاد أهل الحق ، الأنواع في علم التوحيد
رسالة الشيخ عز الدين بن عبد السلام في التوحيد
وصية الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلى ربه الملك العلام

تأليف
سلطان العلماء

العز بن عبد السلام

عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي
المتوفى سنة ٦٦٠ هـ

تحقيق
إياد خالد الطباع





دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل في التوحيد

مؤلفات الإمام
العز بن عبد السلام
« ٢ »

رسائل في التوحيد

الملحة في اعتقاد أهل الحق ، الأنواع في علم التوحيد
رسالة الشيخ عز الدين بن عبد السلام في التوحيد
وصية الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلى ربه الملك العلام

تأليف
سلطان العلماء

العز بن عبد السلام

عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي
المتوفى سنة ٦٦٠ هـ

تحقيق
إياد خالد الطباع

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية



الكتاب ١٠١٨
الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م

دار الفكر بدمشق
سورية ـ دمشق ـ برامكة مقابل مركز
الانطلاق الموحد ـ ص.ب (٩٦٢)
برقياً : فكر ـ س.ت ٢٧٥٤
هاتف ٢٢٣٩٧١٧ ، ٢٢١١١٦٦
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
تلكس FKR 411745 Sy
الصف التصويري : دار الفكر بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المحقق

الحمدُ لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والصلاةُ والسلام على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد .

فقد صنّف الإمامُ العزّ رسائل عدّةً متعلّقةً بالتوحيد ، أحببتُ أن أجمعَها وأضمَّها وأُدرجَها ضمن هذه السلسلة ، حيث عزمتُ ـ بحول الله وقوّته ـ على إبراز ما للعزّ بن عبد السلام من آثار تعرّف به وبفكره ، وتنشر علمه الذي أخفته السّنون ، لتنتشرَ مؤلّفاتُه وتشتهر ، كما اشتهر شخصُه وانتشر ، وهذه الرسائل هي :

١ ـ الملحة في اعتقاد أهل الحق : كذا سمّاها ابنُ السُّبكي في (طبقات الشافعية الكبرى) ٢٣٩/٨ ، وذكرها الداوديّ في (طبقات المفسرين) ٣١٤/١ باسم (الملحة في تصحيح العقيدة) ، وسمّاها حاجي خليفة في (كشف الظنون) : ١٨١٧ : (ملحة الاعتقاد) ، وفي موضع آخر : ١١٥٨ : (عقيدة الشيخ عزّ الدين) وسمّاها البغداديُّ في (هدية العارفين) ٥٨٠/١ : (العقائد) .

ونُسخُها الخطيّة موجودة في ليبزغ برقم (٨٨١) ، وبرلين (٢٠٨٠) ونسخة أُخرى بها ملحقة بـ (شجرة المعارف) برقم (٢٣٠٤) ، وفي إستانبول كما في (مجموعات مخطوطة في إستانبول) ص ٩٤ ، والظاهرية برقم (٤١٣٤) . وقد أورد هذه الرسالةَ كلَّها ابنُ السُّبكي في (طبقات الشافعية الكبرى) ٢١٩/٨ ـ ٢٢٩ ، وطُبع قسم منها ضمن رسالة عبد اللطيف بن العزّ بن عبد السلام (إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبد السلام في مسألة الكلام) .

وقدِ اعتمدتُ في هذه النشرةِ على نسخة الظاهرية ، حيث اعتمدتُها أصلاً ، ورمزتُ لها بالحرف (ع) وهي ستّ عشرة ورقة ق (٧٤ - ٨٩) ، وهي من مخطوطات القرن الثاني عشر الهجري . كما رمزتُ بالحرف (ب) لنسخة برلين ، والموجودُ لديّ منها صورة الورقة الأولى منها . ورمزتُ بالحرف (س) لطبقات الشافعيّة الكبرى لابن السُّبكي[١] الذي أوردها كلَّها كما أسلفتُ ، واضعاً بين هلالين ما زاد منها على الأصل (ع) . ورمزتُ بالحرف (ص) لمصنَّف عبد اللطيف بن العزّ بن عبد السلام (إيضاح الكلام)[٢] السابق ذكره .

وسببُ تصنيف الرسالة أنّ الملكَ الأشرف موسى بن الملك العادل بن أيوب لما اتّصل به ما عليه الشيخ عزّ الدين من القيام لله والعلم والدين ، وأنّه سيّدُ أهل عصره ، وحُجّة الله على خلقه ، أحبّه وصار يَلْهَجُ بذكره ويُؤثر الاجتماع به ، والشيخ لا يُجيب إلى الاجتماع ، وكانت طائفة من المبتدعين القائلين بالحرف والصوت ، ممّن صَحِبهم السلطانَ في صِغَرِه ، يكرهون الشيخَ عزّ الدين ويطعنون فيه ، وقرّروا في ذهن السلطان الأشرف أنّ الذي هم عليه اعتقاد السلف ، وأنّه اعتقاد أحمد بن حنبل ، رضي الله عنه ، وفضلاء أصحابه ، واختلط هذا بلحمِ السلطان ودمه ، وصار يعتقد أنّ مخالف ذلك كافرٌ حلال الدم ، فلما أخذ السلطان في الميل إلى الشيخ عز الدين دسّت هذه الطائفة إليه وقالوا : إنّه أشعريُّ العقيدة ، يُخطِّيء من يعتقد الحرفَ والصوت ويُبَدِّعه ، ومن جملة اعتقاده أنّه يقول بقول الأشعريّ أنّ الخبزَ لا يُشبع ، والماءَ لا يروي ؛ والنارَ لا تحرق ، فاستهال ذلك السلطانُ واستعظمه ونسبهم إلى التعصب عليه ، فكتبوا فُتيا في مسألة الكلام ، وأوصلوها إليه مُريدين أن يُكتبَ عليها بذلك فيسقطَ موضعُه عند السلطان ، وكان الشيخُ قد اتّصل به ذلك كُلُّه ، فلمّا جاءته

(١) وذلك للطبعة الأولى منها بتحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطّناحي .

(٢) طُبع بدار الأنوار سنة ١٣٧٠ .

الفُتيا ، قال : هذه الفُتيا كُتبتِ امتحاناً لي ، واللهِ لا كَتبتُ فيها إلاّ ما هو الحق ، فكتَبَ هذه (الملحة)[1] .

٢ ـ الأنواع في علوم التوحيد : وهي رسالة في تبيان حقوق الله تعالى المتعلّقة بالقلوب ، ذكر فيها ستة عشر نوعاً منها ، وقد أوردها المؤلّف بنحوها في كتابه (قواعد الأحكام) ١٩٨/١ فذكرها في خمسة وعشرين نوعاً ، مع إضافات يسيرة في متن الأنواع الستة عشر . ومما أكّد لي صحة عدم السقط في الأصل الخطي الذي اعتمدتُه ، المحفوظ في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ٥٢٥٨ ق (٨٨/أ ـ ١٨٩/ب) ، أنّ هذه الأنواع قد شرحها ولي الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يوسُف العثماني الديباجي الشافعي المعروف بابن المنفلوطي المتوفى سنة ٧٧٤ هجرية[2] ، حيث اقتصر شرحُه على ستة عشر نوعاً ، مما يعني أنّ الإمام العزّ قد ألّفها مفردةً ، مُضَمّنها ستة عشر نوعاً ، ثم ضمَّها إلى كتابه (قواعد الأحكام) وزاد عليها . وشَرْحُ المنفلوطيّ هذا سمّاه (إفهام الأفهام في معاني عقيدة شيخ الإسلام) ، وتوجد نسخة خطية منه في برلين برقم ٢٤٢٦ .

وقد جاءت تسمية الرسالة على قميص نسخة الظاهرية : (رسالة في العقائد) ، وفي ق ١٨٧/ب و ١٧٦/أ جاءت تسميتها : (عقيدة الشيخ عز الدين بن عبد السلام المقدسي) ، ونسبة (المقدسي) هذه خطأ إذ التبس على الناسخ بعز الدين عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي ، الذي كثيراً ما يشتبه على النُّسّاخ وطلبةِ العلم فيجعلونها واحداً .

---

(١) (إيضاح الكلام) : ٢ ، و (طبقات الشافعية الكبرى) : ٢١٨/٨ .

(٢) هو فقيه ، أصولي ، صوفي ، نشأ بدمشق وسافر إلى الروم ، ورجع إلى مصر وتوفي بها ، من آثاره : « شرح كلمتي الشهادة والفكر فيا يثمر لمن شرح الله به صدره من النور والعبادة » و « إرشاد الطائف إلى علم اللطائف » . ترجم له ابن العماد في (شذرات الذهب) ٢٣٣/٦ ، ووهم كحالة فشطر ترجمته في (معجم المؤلفين) ٢٢٧/٨ و٢٨٩/٨ شطرين .

وفي أعلى الورقة الأولى بخط مخالف ١٨٨/أ : (وصية الشيخ عز الدين) وهذا خطأ ، إذ للعز وصيّةٌ معروفة سنأتي على ذكرها .

وفي آخر الرسالة ١٨٩/ب : « تمت العقيدة بحمد الله وحُسن توفيقه » ، وجاء العنوان في نسخة برلين من شرح المنفلوطيّ كما يلي : « كتاب فيه مختصر شرح الأنواع في علم التوحيد لعزّ الدين بن عبد السلام » ، وفي آخره : « تمت (الأنواع) بشرحها » .

٣ ـ رسالة الشيخ عز الدين بن عبد السلام في التوحيد : ولعلها رسالة (الرد على المبتدعة والحشوية) التي لم نجد لها أصلاً خطياً في العالم وقد وجدتُ هذه الرسالةَ ضمن مجموع في المكتبة الوطنية بدمشق برقم ١٥٣٧٣ ق (١٤٧ ـ ١٤٨) ، ولم يُشرِ الناسخُ إلى تسميتها (الردّ على المبتدعة والحشوية) ، وإنّما أظنّ أنّها هي ، لما احتوت من ردّ على أصل الفرق . إلاّ أنّ ذلك لم يشجّعني إلى القطع لها بهذه التسمية نظراً لأنّ أسلوبَها ليس بقريب إلى كتابة العزّ وإنشائه ، ولا أبعد القول أنّها بأسلوب عز الدين عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي ، المعتني بهذا الأسلوب من الكتابة ؛ والله أعلم .

٤ ـ وصيّة الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلى ربّه الملك العلاّم : وهي محفوظة في الظاهرية بدمشق برقم ٥٩١٢ (٩٠ ـ ٩١) .

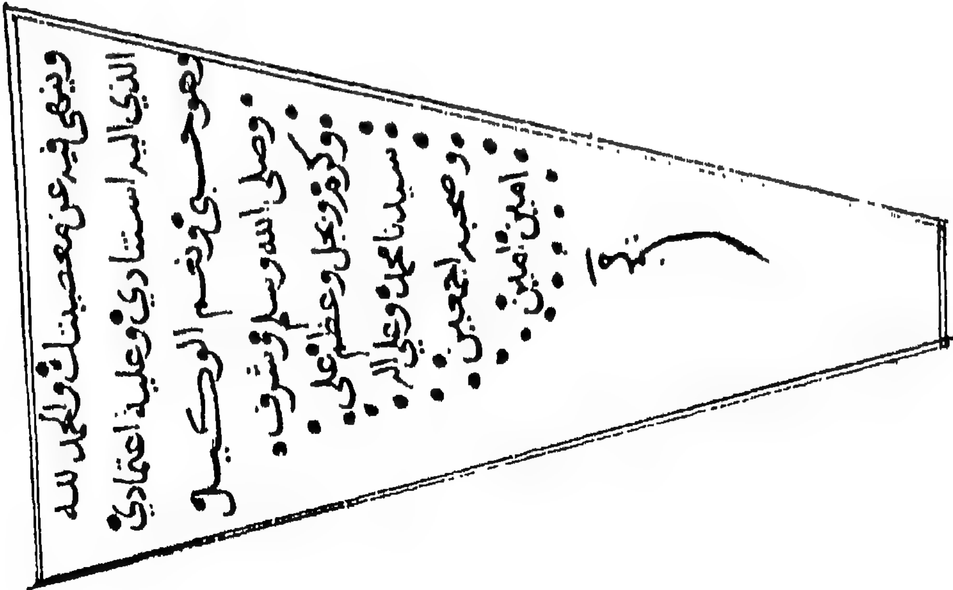
ويبدو من النسخ الخطية السابقة أنّ كتابتها تمّتْ بعد القرن الثاني عشر الهجري .

وقد اتبعتُ في تحقيق الرسائل المنهج نفسَه الذي سلكتُه في الكتاب الأوّل من هذه السلسلة (شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال) ، الذي بيّنتُه ثمّ في مقدّمة التحقيق .

واللهَ أسألُ أن ينفعَ بهذا العمل ، ويجعلَه خالصاً لوجههِ الكريم ، إنّه سميع قريب مجيب .

إياد خالد الطبّاع

المِلحَة في اعتِقَاد
أهْلِ الحَقِّ
للعزّ بن عبد السَّلام



راموز للورقة الأولى والأخيرة من النسخة (ع).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام عزُّ الدين أبو محمد عبدُ العزيز بنُ عبدِ السّلام السُّلَمي الملقّب بسلطان العلماء رحمه الله تعالى :

الحمدُ للّهِ ذي العِزّة والجلال ، والقُدرةِ والكمال ، والإنعام والإفضال ، الواحِدُ الأحَد ، الفَرْدُ الصَّمَد ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ، ولم يكن له كُفُواً أحد ، وليس بجسمٍ مُصَوَّر ، ولا جوهرٍ محدُودٍ ولا[١] مُقدَّر ، ولا يُشْبِهُ شيئاً ، ولا يُشْبهُهُ شيءٌ ، ولا تُحيطُ به الجِهات ، ولا تَكْتَنِفُه الأرضُون ولا السَّماوات[٢]، كان قبلَ أنْ كَوَّنَ المكان، ودبَّر[٣] الزمان ، وهو الآن على ما عليه كان ، خلَق الخَلْق وأعمالَهم ، وقدّر أرزاقهم وآجالَهم ، فكلُّ نِعمةٍ منه فهي[٤] فضلٌ ، وكُلُّ نِقْمةٍ منه فهي[٥] عَدْلٌ : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] ، استوى على العرشِ المَجيد على الوجْهِ الذي قالَه ، وبالمعنى الذي

---

(١) سقطت من (س) و(ب) .

(٢) ع : « ولا تكتنفه الجهات ، ولا تحيط به الأرضون ولا السّماوات » .

(٣) ع : « زمّن » .

(٤) سقطت من (ع) .

(٥) سقطت من (ع) .

أراده ، استواءً مُنزَّهاً عنِ المُماسَّة والاستقرار ، والتمكُّنِ والحُلُول والانتقال ، فتَعالَى اللّهُ الكبيرُ المُتعال ، عمّا يقوله أهلُ الغَيِّ والضَّلال ، بل لا يحملُه العرشُ ، بلِ العرشُ وحَمَلَتُه محمولون بلُطْف قدرتِه ، ومقهورون في قَبْضتِه ، أحاط بِكلِّ شيءٍ عِلْماً ، وأحصى كُلَّ شيء عَدداً ، مُطَّلِعٌ على هَواجِس الضَّمائر وحركاتِ الخواطر ، حَيٌّ ، مُرِيدٌ ، سميعٌ ، بصيرٌ ، عليمٌ ، قديرٌ ، متكلّمٌ بكلام[1] قديمٍ أزليٍّ ليس بحَرْفٍ ولا صوت ، ولا يُتَصوَّر في كلامه أَنْ يَنْقلبَ[2] مِداداً في الألواح والأوراق ، شَكْلاً ترمُقهُ العُيونُ والأحداق ، كما زعمَ أهلُ الحَشْو والنِّفاق ، بل الكِتابةُ مِن أفعال العِباد ، ولا يُتَصَوَّر في أفعالهم أنْ تكونَ قديمةً ، ويجبُ احترامُها لدلالتها على ذاته[3] ، كما يجب احترامُ أسمائه[4] لدلالتها على ذاتِه[5] ، وحُقَّ لما دَلَّ عليه وانتَسب إليه أن يُعْتَقَدَ عظمتُه وتُرْعَى حُرمتُه ، ولذلك يجبُ احترامُ الكعبةِ والأنبياء والعُبَّاد والعلماء[6] ؛

أَمُرُّ علَى الديارِ ديارِ لَيْلَى ... أُقبِّلُ ذا الجِدارَ وذا الجِدارا
وما حُبُّ الديارِ شَغَفْنَ قلبِي ... ولكنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيارا[7]

---

(١) قوله : « قدير . . الخ » سقط من (ع) .
(٢) ع : « ينقلب كلامه » .
(٣) س : « كلامه » .
(٤) ب : « احترامها » .
(٥) ب : « صفاته » .
(٦) س : « الصُّلحاء » .
(٧) البيتان من شعر مجنون ليلى ، كما في (ديوانه) ص١٧٠ .

ولمثلِ ذلك نُقَبِّلُ[1] الحَجَرَ الأسود ، ويَحْرُم على المُحْدِث مَسُّ[2] المصحفِ ؛ أسْطُرِهِ وحواشيه التي لا كِتابةَ فيها ، وجِلْدِه وخَريطتِه التي هو فيها ، فويلٌ لِمَنْ زعَم أنّ كلامَ اللّهِ القديمَ شيءٌ مِن ألفاظِ العِبَاد ، أو رَسْمٌ مِن أشكالِ المِداد .

واعتقادُ الأشعريّ رحمه اللّهُ يَشتمِلُ[3] على ما دلَّت عليه أسماءُ اللّهِ التسعةُ والتسعون ، التي سَمَّى بها نَفْسَه في كتابه وسُنّةِ رسولِ الله ﷺ ؛ وأسماؤه مُنْدَرِجةٌ في أربع كلماتٍ ، هُنَّ الباقياتُ الصَّالحات :

الكلمة الأولى : قول : « سُبْحانَ اللّهِ » ، ومعناها في كلامِ العرب : التنزيهُ والسَّلْبُ ، وهي مشتملةٌ على سَلْبِ العَيْبِ والنّقصِ عن ذاتِ اللّهِ وصفاتِه ، فما كان مِن أسمائِه سَلْباً فهو مُنْدرِجٌ تحتَ هذه الكلمة : كالقُدُّوس ، وهو الطاهرُ مِن كلِّ عَيب[4] ؛ والسَّلامُ ، وهو الذي سَلِم مِن كلِّ آفةٍ .

الكلمة الثانية : قول : « الحَمْدُ لله » ، وهي مشتملةٌ على إثبات ضُرُوبِ الكمالِ لذاتِه وصفاتِه ، فما كان مِن أسمائِه متضمِّناً للإثبات ، كالعليم والقدير والسَّميع والبصير ، فهو مُنْدَرِجٌ[5] تحت الكلمةِ الثانية ،

(١) س : « يُقَبِّل » .
(٢) س : « أن يمس » .
(٣) س : « مشتمل » .
(٤) قال المؤلِّف رحمه الله في كتابه : (شجرة والمعارف والأحوال) ص٣١ : « وثمرة معرفته ـ أي القُدُّوس ـ: التعظيم والإجلال . والتخلُّقُ به بالتطهيرِ مِن كلِّ حرامٍ ومكروه وشبهة وفضلِ مباحٍ شاغِلٍ عن مولاك » .
(٥) حتى هنا تنتهي النسخة (ب) .

فقد نَفَيْنَا بقولنا : « سبحان الله » كلَّ عيبٍ عَقَلْناه وكلَّ نقص فَهِمناه ، وأثبتنا بـ « الحَمدُ لِلّه » كُلَّ كمالٍ عَرَفناه ، وكُلَّ جلالٍ أدركناه ؛ ووراءَ ما نَفَيْنَاه وأثبتناه شأنٌ عظيم قد غابَ عَنّا وجَهِلْناه ، فنحقِّقُه مِن جهةِ الإجمال بقولنا : « اللّهُ أكْبَر » وهي **الكلمة الثالثة** ، بمعنى أنّه أجَلُّ ممّا نَفَيْنَاه وأثبتناه ، وذلك معنى قولِه ﷺ : « لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ على نفسِك »[1] ، فما كان مِن أسمائِه مُتَضَمِّناً لِمَدْحٍ فوقَ ما عَرَفناه وأدركناه ، كالأعلى والمُتَعَالي[2] ، فهو مندرجٌ تحت قولنا : « اللّهُ أكْبَر » فإذا كان في الوجودِ مَن هذا شأنُه نَفَيْنا أنْ يكونَ في الوجودِ مَن يُشاكِلُه أو يُناظِره ، فحقَّقْنا ذلك بقولنا : « لا إلهَ إلّا اللّهُ » وهي **الكلمة الرابعة** ؛ فإنّ الأُلوهيَّةَ ترجعُ إلى استحقاقِ العُبوديّة ، ولا يستحِقُّ العُبوديَّة إلَّا مَنِ اتَّصفَ بجميعِ ما ذكرناه ، فما كان مِن أسمائه متضمِّناً للجميع على الإجمال ، كالواحدِ والأحَدِ وذي الجلال والإكرام ، فهو مُنْدَرِجٌ تحت قولنا : « لا إلهَ إلّا اللّهُ » وإنما استحقَّ العبوديَّةَ لِما وَجب له مِن أوصافِ الجلال ونُعُوتِ الكمال[3] الذي

---

(١) روى مسلم (٤٨٦) في الصلاة : باب ما يقال في الركوع والسجود ، وغيرُه ، عن عائشة ، قالت : فَقَدْتُ رسولَ الله ﷺ ليلة من الفِراش ، فالتمستُه ، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد ، وهما منصوبتان ، وهو يقول : « اللهم ، أعوذ برضاك مِن سَخَطِك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أُحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثْنَيْتَ على نفسِك » .

(٢) ع : « المتعال » .

(٣) قال الإمام العز رحمه الله في كتابه الفذّ (الإمام في بيان أدلّة الأحكام) : « كلمةُ التوحيد تدلّ على التكليف بالواجب والحرام ، إذ معناها : لا معبودَ بحقٍّ إلا الله . =

لا يَصِفُهُ[1] الواصِفون[2] ولا يَعُدُّه العادُّون :

حُسْنُـكَ لا تَنْقَضِي عَجائِبُـهُ كالبَحْرِ حَدِّثْ عنهُ بِلا حَرَجِ

فسُبْحانَ مَن عَظُم شأنُه وعَزَّ سلطانُه ، ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الرحمٰن : ٢٩] لافتقارِهم إليه ، ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمٰن : ٢٩] ، لاقتداره عليه ، له الخَلْقُ والأمرُ والسلطانُ والقَهْر ، فالخلائقُ مقهورون في قَبْضتِه : ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزُّمَر : ٦٧] ، ﴿ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ [العنكبوت : ٢١] فسُبْحان الأزليِّ الذاتِ والصِّفات ، ومُحْيِي الأموات وجامع الرُّفات ، العالِم بما كانَ وما هو آت .

ولو أُدْرِجَتِ الباقياتُ الصالحاتُ في كلمةٍ منها على سبيلِ الإجمال ، وهي « الحمدُ لله » لاندرجت فيها ، كما قال عليُّ بنُ أبي طالب رضي اللّهُ عنه : لو شِئْتُ أن أُوقِرَ بعيراً مِن قولِك : « الحمدُ لله » لَفَعلتُ . فإنَّ الحمدَ هو الثَّناء ، والثَّناءُ يكونُ بإثباتِ الكمالِ تارةً وبسَلْبِ النَّقصِ أخرى ، وتارةً بالاعترافِ بالعجز عن دَرْكِ الإدراك ، وتارةً بإثباتِ

= والعبادةُ هي الطاعةُ مع غاية الذُّلّ والخُضوع ، فقد نَصّ بالاستثناء على أنّه مستحِقٌّ لها ، وأمّا نفيُها عن ما عداه ، فيجوزُ أن يكونَ حُكْماً بتحريمِ ذلك في حقِّ غيره وهو الظاهر ، ويجوزُ أن يكونَ إخباراً عن النَّفي الأصليّ ، ويكون تحريمُ عبادةِ غيرِه مأخوذاً مِن قوله : ﴿ أمَرَ ألاّ تعبُدوا إلاّ إيّاه ﴾ [يوسُف : ٤٠] ، أو من الإجماع ، وكذلك كلّ نفي في هذا المعنى كقوله : ﴿ فلا جُناحَ عليهما ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ، ﴿ فلا إثمَ عليه ﴾ [البقرة : ١٧٣] » .

(١) ع : « يوصفه » .

(٢) سقطت من (ع) .

التفرُّدِ بالكمال ، والتفرُّدُ بالكمال مِن أعلى مَراتب المدحِ والكمال ، فقد اشتملَتْ هذه الكلمةُ على ما ذكرناه في الباقيات الصالحات ؛ لأنَّ الألفَ واللامَ فيها لاستِغْراق جِنْس المدح والحمد ، مِمّا عَلِمناه وجَهِلناه ، ولا خُرُوجَ للمدح عن شيء مِمّا ذكرناه ، ولا يستحقُّ الإلٰهيَّةَ إلَّا مَنِ اتّصفَ بجميعِ ما قَرَّرناه ، ولا يخرجُ عن هذا الاعتقاد مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، ولا نَبِيٌّ مُرْسَل ، ولا أحدٌ مِن أهلِ المِلَل ، إلّا مَن خذله اللّهُ فاتَّبعَ هواه وعَصَى مَوْلاه ، أولئك (قومٌ قد) غَمرهم ذُلُّ الحجاب ، وطُرِدُوا عنِ الباب ، وبَعُدوا عن ذلك الجَناب ، وحُقَّ لِمَن حُجِبَ في الدنيا عن إجلالِه ومعرفتِه ، أنْ يُحْجَبَ في الآخِرة عن إكرامِه ورؤيتِه :

إرْضَ لِمَنْ غابَ عنك غَيْبَتَهُ فَــذاك ذَنْبٌ عِقابُــهُ فِيــهِ

فهذا إجمالٌ مِن اعتقاد الأشعريّ رحمه اللّهُ تعالى ، واعتقادِ السَّلَف وأهلِ الطريقةِ والحقيقة ، نِسْبَتُه إلى التفصيل الواضح كنِسْبَة القطرة إلى البحر الطافِح :

يَعْـرِفُه البـاحِثُ مِن جِنْسِـه وسـائِرُ النّاسِ لَـهُ مُنْكِـرُ

[غيره][1] :

لَقد ظَهَرْتَ فلا تَخْفَى على أحَدٍ إلّا علَى أكْمَهٍ لا يَعْرِفُ القَمَرا

والحَشْوِيّةُ المُشَبِّهة ، الذين يُشَبِّهون اللّهَ بخَلْقه ، ضربان : أحدُهما لا يَتَحاشى مِن إظهار الحَشْو : ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [المجادلة : ١٨] ، والآخَرُ يتستَّر بمذهبِ السَّلَف ،

---

(١) زيادة من (س) .

لِسُحْتٍ يأكلُه أو حُطامٍ يأخذه :

أظْهَرُوا لِلنَّاسِ نُسْكاً وعَلَى المَنْقُوشِ دارُوا[1]

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ ﴾ [النِّساء : ٩١] ، ومذهبُ السَّلَفِ إنّما هو التوحيدُ والتَّنزيه ، دُونَ التَجسيم والتشبيه ، وكذلك[2] جميعُ المبتدعة يَزعُمون أنهم على مذهبِ السَّلَفِ ، فهم كما قال القائل :

وكُلٌّ يَدَّعُونَ وِصالَ لَيْلَى وليْلَى لا تُقِرُّ لَهُمْ بِذاكا[3]

وكيف يُدَّعى على السَّلَفِ أنّهم يعتقدون التجسيمَ والتشبيهَ ، أو يسكُتون عند ظُهور البِدَع ، ويخالفون قولَه تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٤٢] .

وقوله جَلَّ قولُه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] ، وقوله تعالى ذكرُه : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] .

---

(١) البيت لمحمود الورّاق ، المتوفى في حدود مئتين وثلاثين ، وهي من أبيات تصوِّر وجوهاً من النفاق يمثّلها بعض مَن يظهرون التدين أمام الناس ، وهم يطوون في حقيقتهم جشعاً مادياً وتكالباً على المال ، والأبيات كما في (العقد الفريد) ٢١٦/٣ و(الكشكول) ٢١٦/٢ :

أظهروا للناس ديناً وعلى الدينار داروا
وله صاموا وصَلّوا وله حجّوا وزاروا
لو بدا فوق الثُّريا ولهم ريشٌ لطاروا

(٢) س : « ولذلك » .

(٣) يُروى صدرُ البيت كما في (ديوان الصبابة) : ٣ : وكلّ يدَّعي وَصْلاً بليلى .

والعلماءُ وَرَثَة الأنبياء ، فيجبُ عليهم مِن البيان ما يجبُ[1] على الأنبياء .

وقال تعالى : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، ومِنْ أنْكَرِ المُنكَراتِ التَّجسيمُ والتَّشبيهُ ، ومِنْ أَفْضلِ المعروفِ التوحيدُ والتَّنْزِيه[2] ، وإنّما سكَتَ السَّلَف قبلَ ظُهور البِدَع ، فوربِّ السماءِ ذاتِ الرَّجْعِ والأرضِ ذاتِ الصَّدْع ، لقد تَشَمَّر السَّلَفُ للبِدَعِ لما ظَهرت ، فقمَعوها أتمَّ القَمْع ، وردَعُوا أهلَها أشدَّ الرَّدْع ، فردُّوا على القَدَرِيّة والجَهْمِيّة والجَبْرِيّة ، وغيرِهم مِن أهلِ البِدَع ، فجاهدوا في اللّهِ حَقَّ جِهادِهِ .

والجِهادُ ضربان : ضَرْبٌ بالجَدَلِ والبَيان ، وضَرْبٌ بالسَّيْف والسِّنان ؛ فَلَيْتَ شِعْرِي ، فما الفرقُ بينَ مُجادَلةِ الحَشْوِيَّة وغيرِهم من أهلِ البِدَع ! ولولا خُبْثٌ في الضمائر وسُوءُ اعتقادٍ في السَّرائر : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [النِّساء : ١٠٨] ، وإذا سُئل أحدُهم عن

---

(١) س : « ما وجب » .

(٢) يقول الإمام العز رحمه الله في (شجرة المعارف والأحوال) ص٤ : « تشرُف الأعمال الظاهرة والباطنة بأنفسها ، ومتعلّقاتها ، وثمراتها ، وبما هي وسيلة إليه ، وحاثّة عليه .
فأفضلُ أعمالنا معرفةُ الذات والصفات لأنَّ متعلّقاتها أشرفُ المتعلّقات ، وثمارَها أفضلُ الثمرات ، وكذلك جميع ما يتعلّق بالله من الطاعات » .

مسألةٍ مِن مسائل الحَشْو أمرَ بالسُّكوت عن[1] ذلك ، وإذا سُئل عن غير الحَشْوِ مِن البِدَع أجابَ فيه بالحَقِّ ، ولولا ما انطوى عليه باطنُه مِن التجسيمِ والتشبيه لأجابَ في مسائل الحَشْوِ بالتوحيد والتنزيه ، ولم تزل هذه الطائفةُ المبتدعةُ قد ضُرِبتْ عليهمُ الذِّلَّةُ أينما ثُقِفوا : ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة : ٦٤] ، لا تَلُوح لهم فُرْصةٌ إلا طاروا إليها ، ولا فِتنةٌ إلّا أكَبُّوا عليها ، وأحمدُ بنُ حَنْبَلٍ وفضلاءُ أصحابه وسائرُ علماء السَّلَف بُرَاءُ إلى الله ممّا نَسَبُوه إليهم ، واختلَقُوا عليهم ، وكيف يُظَنُّ بأحمدَ (بنِ حَنْبلٍ) وغيره من العلماء ، (أن يعتقدوا) أن وَصْفَ اللّهِ القديمَ بذاتِه هو عينُ[2] لفَظِ اللافِظِين ، ومِدادِ الكاتبين ، مع أنّ وصفَ اللّهِ قديمٌ ، وهذه الألفاظ والأشكال حادثةٌ بضرورةِ العقل[3] وصريحِ النَّقْل ، وقد أخبر اللّهُ تعالى عن حُدوثِها في ثلاثِة مَواضِعَ مِن كتابه :

الموضع الأوّل ، قولُه : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِنْ ذِكْرٍ مِن رَّبِّهِمْ مُحْدَثٍ ﴾ [الأنبياء : ٢] جعَلَ الآتيَ مُحْدَثاً ، فمَنْ زعَم أنّه قديمٌ فقد رَدَّ على الله سبحانه وتعالى ، وإنّما هذا المُحْدَث[4] دليلٌ على القديم ، كما أنّا إذا كَتَبْنا اسمَ اللّهِ عَزَّ وجَلّ في ورقةٍ لم يَكُنِ الرَّبُّ القديمُ حَالّاً في تلك الورقة ، فكذلك الوصفُ القديم إذا كُتِبَ في شيء لم يَحُلَّ الوَصفُ المكتوبُ حيثُ حَلَّتِ الكتابةُ .

---

(١) ع : « في » .
(٢) تحرّفت في (س) إلى : « غير » .
(٣) تحرّفت في (ع) إلى : « الفعل » .
(٤) س : « الحادث » .

الموضع الثاني ، قولُه : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة : ٣٨ ـ ٤٠] ، وقولُ الرَّسولِ صفةٌ للرَّسول ، ووصفُ الحادِثِ حادِثٌ يدلُّ على الكلامِ القديم ، فمَن زعَم أنَّ قولَ الرسولِ قديمٌ فقد رَدَّ على ربِّ العالمين ، ولم يقتصِرْ سبحانه وتعالى على الإخبار بذلك[1] حتّى أقسَمَ على ذلك بأَتَمِّ الأقسام ، فقال تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴾ : أي تُشاهِدون ، ﴿ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ : أي ما لا تَرَوْنَه[2] ، فاندرج في هذا القَسَمِ ذاتُه وصِفاتُه ، وغيرُ ذلك من مخلوقاته .

الموضع الثالث ، قوله جَلَّ قولُه : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [التكوير : ١٥ ـ ٢٠] .

والعَجَبُ مِّن يقول : القرآنُ مركَّبٌ مِن حَرْفٍ وصوت ، ثم يَزْعُمُ أنّه في المصحف ، وليس في المصحف إلاّ حَرْفٌ مُجَرَّدٌ لا صوتَ معه ، إذ ليس فيه حرفٌ مُتكَوِّنٌ من صوت[3] ، فإنَّ الحرفَ اللفظيَّ ليس هو الشكلَ الكتابيَّ ؛ ولذلك يُدْرَك الحرفُ اللفظيُّ بالآذانِ ولا يُشاهَدُ بالْعِيان ، ويُشاهَدُ الشكلُ الكتابيُّ بالْعِيان ولا يُسْمَعُ بالآذان ، ومَن توقَّفَ في ذلك فلا يُعَدُّ مِن العُقلاء فَضْلاً عن العلماء ، فلا أكثَرَ[4] اللّهُ في المسلمين مِن

(١) ع : « على ذلك » بدل « على الإخبار بذلك » ، والزيادة من (س) .
(٢) س : « ما لم تَرَوْه » بدل « ما لا ترونه » .
(٣) س : « مكتوب عن » بدل « متكوّن من » .
(٤) ع : « كثر » .

أهلِ البِدَع والأهواء ، والإضلال والإغواء .

ومَن قال بأنَّ الوَصفَ القديمَ حالٌّ في المصحف ، لَزِمه إذا احترق المصحفُ أن يقول : إنّ وصفَ اللّهِ القديمَ احتَرق ، سبحانه وتعالى عمّا يَقُولون عُلُوّاً كبيراً ، ومِنْ شأنِ القديم أن لا يَلْحَقه تغيُّرٌ ولا عَدَمٌ ، فإنَّ ذلك مُنافٍ للقِدَم .

فإنْ زَعَموا أنَّ القرآنَ مكتوبٌ في المصحفِ غيرُ حالٍّ فيه ، كما يقولُه الأشعريُّ ، فلِمَ يلعنون الأشعريَّ رحمه الله ؟ وإنْ قالوا بخلافِ ذلك ، فانظر : ﴿ كَيْفَ يَفْتَرُون عَلَى اللّهِ الكَذِبَ ، وَكَفى بِهِ إِثْماً مُبيناً ﴾ [النِّساء : ٥٠] ، ﴿ وَيَوْمَ القِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزُّمَر : ٦٠] .

وأمّا قولُه سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * في كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾ [الواقعة : ٧٧ ، ٧٨] فلا خِلاف بين أئمة العربية أنّه لا بُدَّ مِن كلمةٍ محذوفة يتعلَّق بها قولُه : ﴿ في كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾ ، ويجبُ القطع بأنَّ ذلك المحذوفَ تقديره : « مكتوبٌ في كتابٍ مكنون » لما ذكرناه ، وما دلَّ عليه العقلُ الشاهِدُ بالوَحدانيَّة وبصحَّةِ الرسالة ، وهو مَناطُ التكليفِ بإجماعِ المسلمين ، وإنّما لم يُسْتدلَّ بالعقل على القِدَم[1] وكَفى به شاهِداً ، لأنّهم لا يسمعون شهادتَه[2] ، مع أنَّ الشَّرعَ قد عَدَّل العقلَ وقَبِلَ شهادَته ، واستدلَّ به في مواضعَ مِن كتابه ، كالاستدلال بالإنشاء على العادة[3] ،

(١) تحرفت العبارة في (ع) إلى « وإنما لم يستدلّ الفعل على القوم » .

(٢) ع : « ألا إنهم لا يسمعون شهادة » ؛ والمثبت من (س) .

(٣) س : « الإعادة » !

وكقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللّٰهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون : ٩١] ، وقوله ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّٰهُ مِنْ شيء ﴾ [الأعراف : ١٨٥] .

فيا خَيْبَةَ مَن رَدَّ شاهِداً قَبِله اللّٰهُ ، وأسقط دليلاً نَصَبه الله ، فهم يَرجِعُون إلى المنقول . فلذلك استَدْلَلْنا بالمنقول وتركنا المعقول كَمِيناً إنِ احتجنا إليه أبرزناه ، وإنْ لم نحتجْ إليه أَخَّرْناه ، وقد جاء في الحديث المشهور[1] : « مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ وَأَعْرَبَهُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، ومَنْ قَرَأَهُ وَلَمْ يُعْرِبْهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ (مِنْهُ) حَسَنَةٌ »[2] ، والقديم لا يكون مَعِيباً باللَّحْن وكاملاً بالإعراب ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٣٩] ، فإذا أخبَر رسولُه ﷺ بأنّا

---

(١) تحرفت في (س) إلى « الصحيح » .

(٢) أخرجه البيهقي في « الجامع لشعب الإيمان » ٥/٢٤١ = (٢٠٩٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً بإسناد ضعيف ، ولفظه : « مَنْ قرأ القرآن فأعرب في قراءته ، كان له بكلّ حرفٍ منه عشرون حسنة ، ومَن قرأ بغير إعراب كان له بكل حرفٍ عشرُ حسنات » .

وأخرجه البيهقي في (الجامع لشعب الإيمان) ٥/٢٤١ = (٢٠٩٧) ، وابن عدي في (الكامل) ٧/٢٥٠٦ ، وأبو عثمان الصابوني في (المئتين) كما في (كنز العمال) ١/٥٣٣ = (٢٣٨٩) ، بإسناد ضعيف جداً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً ، ولفظه : « مَن قرأ القرآن فأعربَ كلَّه فله بكلّ حرفٍ أربعون حسنة ، فإن أعربَ بعضَه ولحَنَ في بعضه فله بكلّ حرفٍ عشرون حسنة ، وإن لم يُعربْ منه شيئاً فله بكلّ حرفٍ عشرُ حسنات » .

نُجْزَى على قراءةِ القرآن ، دَلَّ على أنّه مِن أعمالنا ، وليست أعمالُنا بقديمةٍ ، وإنما أُتِيَ للقوم [(١)] مِن قِبَلِ جَهْلِهم بكتابِ الله وسُنّةِ رسولِه ﷺ ، وسَخافةِ العقلِ وبَلادةِ الذِّهن ، فإنَّ لفظَ القرآنِ يُطْلَقُ في الشَّرع واللِّسان على الوصفِ القديم ، ويُطْلَق على القِراءةِ الحادثة ، قال اللّهُ تعالى : ﴿ إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ [القيامة : ١٧] (أراد بقُرْآنه : قِراءَتَه ، إذ ليس للقرآنِ قرآنٌ آخَرُ) ، ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ أي قِراءتَه . فالقراءةُ غيرُ المقروء ، والقراءةُ حادِثةٌ والمقروءُ قديمٌ ، كما أنّا إذا ذكرنا اللّهَ عَزَّ وجَلَّ كان الذِّكرُ حادِثاً والمذكورُ قديماً ؛ فهذه نُبْذَة مِن مذهبِ الأشعريّ رحمه الله .

إذا قالتْ حَذامِ فَصَدِّقُوهَا فإنَّ القولَ ما قالَتْ حَذامِ [(٢)]

والكلامُ في مثلِ هذا يَطُول ، ولولا ما وجَبَ على العلماءِ مِن إعزازِ الدِّين وإخمالِ المبتدِعين ، وما طَوَّلَت به الحَشْوِيَّةُ ألسنتَهم في هذا الزمان ، مِن الطَّعنِ في أعراضِ الموحِّدين ، والإزراءِ على كلامِ المُنَزِّهين ، لما أَطَلْتُ النَّفَسَ في مثلِ هذا مع اتِّضاحِه ؛ ولكنْ قد أَمَرنا

(١) س : « القومُ » .

(٢) القائل هو لُجَيْم بنُ صَعْب ، كما في (لسان العرب) : مادة (حذم) و(رقش) ، و« مغني اللبيب » الشاهد رقم (٤٠٤) ، وفي (لسان العرب » : (حذم) ، أنَّ القائلَ هو وَسِيم بنُ طارق .
و« حَذامِ » : هي امرأةُ لُجَيْم بن صَعْب ، وهي بنتُ العَتِيك بنِ أسْلَمَ بنِ يَذْكُرَ بن عَنَزَةَ ؛ كما في (اللسان) : (حذم) .
وذكَر ابن هشام في (مغني اللبيب) روايةً ، وفيها : « فأنصتُوها » بدل « فصدِّقوها » .

اللّهُ بالجهاد في نُصْرةِ دينِه ، إلاّ أنّ سلاحَ العالِم عِلمُهُ ولِسَانُه ، كما أنَّ سلاحَ المَلِكِ سَيفُه وسِنانُه ؛ فكما لا يجوزُ للملوكِ إغمادُ أسلحتِهم عن الملحِدين والمشركين ، لا يجوزُ للعلماءِ إغمادُ ألسنتِهم عنِ الزائِغين والمبتدِعين ؛ فمَنْ ناضَلَ عنِ اللّهِ وأظهَر دِينَ اللّهِ كان جديراً أنْ يحرُسَه اللّهُ بعينِه التي لا تنام ، ويُعِزَّه بعزِّه الذي لا يُضام ، ويَحُوطَه برُكْنِه الذي لا يُرام ، ويحفظَه مِن جميعِ الأنام : ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ [محمد : ٤] ، وما زال المُنَزِّهُون والمُوَحِّدُون يُفْتُون بذلك على رؤوسِ الأشهادِ في المحافِلِ والمَشاهِد ، (و) يَجْهَرون به في المَدارِسِ والمساجد ، وبِدْعَةُ الحَشْوِيَّة كامنةٌ خفيَّةٌ لا يتمكَّنون من المجاهرةِ بها ، بل يَدُسُّونها إلى جَهَلةِ العَوامِّ ، وقد جَهَروا بها في هذا الأوان ، فَنسألُ اللّهَ تعالى أنْ يُعَجِّلَ بإخمالِها كعادتِه ، ويَقْضيَ بإذلالِها على ما سَبَق مِن سُنَّتِه ، وعلى طريقةِ المنزِّهين والموحِّدين دَرَج الخَلَفُ والسَّلَفُ ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

والعَجَبُ أنَّهم يَذُمُّون الأشعريَّ بقولِه : إنَّ الخُبْزَ لا يُشْبِع ، والماءَ لا يُرْوِي ، والنارَ لا تُحْرِق ، وهذا كلامٌ أنزل الله معناه في كتابِه ؛ فإنَّ الشِّبَعَ والرِّيَّ والإحراقَ حوادثُ تَفَرَّد الربُّ بِخَلْقها ، فلم يَخْلُقِ الخبزُ الشِّبَعَ ، ولم يَخْلُق الماءُ الرِّيَّ ، ولم تَخْلُقِ النارُ الإحراقَ ، وإنْ كانت أسباباً في ذلك ، فالخالق تعالى هو المسبِّبُ (دون السَّبَب) ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال : ١٧] ، نَفى أنْ يكونَ رسولُه ﷺ خالِقاً للرَّمْي ، وإنْ كان سبباً (فيه) ، وقد قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾

[النَّجم : ٤٣ ، ٤٤] ، فاقتطع الإضحاكَ والإبكاءَ والإماتةَ والإحياءَ عن أسبابها[1] وأضافَها إليه ، فكذلك اقتطَعَ الأشعريُّ رحمه الله تعالى الشِّبَعَ والرِّيَّ والإحراقَ عن أسبابها وأضافَها إلى خالقِها ، لقوله تعالى : ﴿ اللّهُ [ربُّكم لا إلهَ إلاّ هُو] خَالِقُ كُلِّ شيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٠٢] ، وقوله : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللّهِ ﴾ [فاطر : ٣] ، ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ولما يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ [يونس : ٣٩] ، ﴿ أَكَذَّبْتُمْ بِآياتي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل : ٨٤] .

وكم مِن عائبٍ قولاً صَحِيحاً   وآفتُه مِن الفَهْمِ السَّقِيمِ[2]

فسُبحانَ مَن رَضِيَ عن قومٍ فأدناهم ، وسَخِطَ على آخَرين فأقصاهم : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ .

وعلى الجملة ، ينبغي لكلِّ عالِمٍ إذَا أُذِلَّ الحقُّ وأُخْمِلَ الصّوابُ أنْ يبذُلَ جُهْدَهُ في نصْرتِهما ، وأنْ يَجعلَ نفسَهُ بالذُّلِّ والخُمولِ أولَى منهما ، وإنْ عَزَّ الحقُّ وَظَهر الصَّوابُ أنْ يَستظِلَّ بظلِّهما ، وأنْ يكتَفِيَ باليَسيرِ مِنْ رَشاشِ غيرِهما :

قليلٌ مِنْك يَنْفَعُني ولكِنْ   قَليلُك لا يُقالُ لَه قَلِيلُ

والمُخاطرةُ بالنفوسِ مَشروعةٌ في إعزاز الدِّين ، ولذلك يجوزُ للبَطلِ

(١) وقع قوله : « عن أسبابها » في (ع) بعد : « الإضحاك والإبكاء » ؛ والمثبت من (س) .

(٢) البيتُ لأبي الطَّيب المتنبي ، كما في (ديوانه) ٢٤٦/٤ .

من المسلمين أن ينغَمِسَ في صفوفِ المشركين ، وكذلك المُخاطرةُ بالأمر بالمعروفِ والنَّهي عن المُنْكَرِ ونُصْرةِ قواعدِ الدِّين بالحُجَجِ والبراهين (مشروعةٌ) ، فمن خَشيَ على نفسِه سقَط عنه الوجوبُ وبَقِيَ الاستحبابُ ، ومَن قال بأنَّ التَّغريرَ بالنُّفوسِ لا يجوز ، فقد بَعُدَ عنِ الحقِّ ونأى عن الصواب .

وعلى الجملة ، فمَن آثَر اللّهَ على نفسِه آثره اللّهُ ، ومَن طلَبَ رِضا اللّهِ بما يُسْخِطُ الناسَ رضي الله عنه وأرضىٰ عنه الناسَ ، ومَن طلَبَ رِضا الناسِ بما يُسْخِطُ اللّهَ سَخِط اللّهُ عليه وأسخط عليه الناسَ ، وفي رِضا الله كفايةٌ عن رِضا كلِّ أحد :

فَلَيْتَكَ تَحْلُو والحَيَاةُ مَرِيرةٌ وليتَكَ تَرْضَى والأَنَامُ غِضابُ[1]

غيره :

في كلِّ شيءٍ إذا ضَيَّعْتَه عِوَضٌ و[ما من][2] اللّهِ إنْ ضَيَّعْتَه عِوَضُ

وقد قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام : « إِحْفَظِ اللّهَ يَحْفَظْكَ ، إِحْفَظِ اللّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ »[3] . وجاء في حديث : « ذَكِّرُوا اللّهَ بِأَنْفُسِكُمْ فإنَّ اللّهَ

---

(١) البيت لأبي فراس الحمداني ، كما في (ديوانه) ١/ ٢٤ .

(٢) س : « ليس في » .

(٣) أخرجه أحمد في (المسند) ١/ ٢٩٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، والترمذي (٢٥١٨) في صفة القيامة : باب (٦٠) ، عن ابن عباس قال : كنتُ خلف رسول الله ﷺ يوماً ؛ فقال : « يا غلام إنِّي أعلِّمك كلماتٍ : إحْفَظِ اللّهَ يحفَظْك ، إحْفَظِ اللّهَ تجِدْهُ تُجاهك ، إذا سألتَ فاسْأَلِ الله ، وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله ، واعلَمْ أنَّ الأُمّة لو اجتمعَتْ على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كَتَبَه اللّهُ لك . ولَو اجتمعوا =

يُنزِلُ العَبْدَ مِنْ نَفْسِه (حَيْث أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ »[٢] ، حتى) قال بعضُ الأكابِر : مَن أرادَ أنْ يَنْظُرَ منزلتَه عِندَ الله فلينظُرْ كيف منزلةُ اللّهِ عِنْدَه .

اللهُمَّ فانصُرِ الحقَّ ، وأظْهِرِ الصوابَ ، وأبْرِمْ لهذه الأمّةِ أمراً رَشَداً[٢] ، يَعِزُّ فيه وَلِيُّك ، ويَذِلُّ فيه عدوُّك ، ويُعْمَلُ فيه بطاعتِك ، ويُنْهَى فيه عن معصيتِك .

والحمد لله الذي إليه استِنادي وعليه اعتمادي ، وهو حَسْبِي ونِعْم الوَكِيلُ ، وصلّى الله وسَلَّم ، وشرَّف وكَرَّم ، وبجَّل وعظَّم ، على سيِّدِنا محمّد وعلى آلِه وصحبِه أجمعين ، آمين آمين .

= على أنْ يَضرُّوك بشيءٍ لم يضرُّوك إلاّ بشيء قد كَتَبَهُ اللّهُ عليك ، رُفِعَتِ الأقلامُ ، وجَفَّتِ الصُّحُف » .

قال الترمذي : « حديث حسن صحيح » .

(١) لم أجد الحديث فيما وقع بين يديّ من كتبه .

(٢) س : « رشيداً » .

راموز لبداية رسالة الأنواع في علوم التوحيد

الأنواع في عُلومِ التَّوْحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالَمين والصَّلاةُ والسلامُ على نبيِّه محمدٍ وآلِه أجمعين .

قال الإمامُ العلاّمة المحقِّق الشيخُ عِزُّ الدِّين بنُ عبدِ السَّلام تغمَّدَه اللّهُ برحمتِه ورِضوانِه :

اعلمْ أنَّ حقوقَ اللّهِ تعالى على القلُوب منقسمةٌ إلى المقاصِد والوسائل ؛ فأمّا المقاصدُ فكمعرفةِ ذاتِ الله وصفاتِه ؛ وأمّا الوسائلُ فكمعرفةِ أحكامِه تعالى ، فإنّها ليست مقصودةً لِعَيْنِها وإنّما هي مقصودةٌ للعملِ بها .

وكذلك الأحوالُ قسمان :

أحدهما : مقصودٌ لنفسِه ؛ كالمَهابةِ والإجلال .

والثاني : وسيلةٌ إلى غيرِه ، كالخوفِ والرَّجاء . فإنَّ الخوف وازِعٌ عن المخالفات لما رُتِّبَ عليها مِن العقوبات ، والرَّجاءَ حاثٌّ على تكثيرِ الطّاعات لما رُتِّبَ عليها مِن المَثُوبات .

والحقوقُ المتعلّقة بالقلوبِ أنواع :

النوع الأول : معرفةُ ذاتِ الله سبحانَه وتعالى ، وما يجبُ لها ، من

الأزليّة ، والأبديّة ، والأحَدِيّة ، وانتفاءِ الجوهريّة ، والعَرَضِيّة ، والجِسميّة ؛ والاستغناءِ عن الموجِبِ ، والمُوجِد ، والتوحُّد بذلك عن سائرِ الذَّوَات[1] .

النوع الثاني : معرفةُ حياتِه سبحانه وتعالى بالأزليّة ، والأبديّة ، والأحَديّة ، والاستغناء عن المُوجِب والموجِد ، والتوحُّد بذلك عن غيرِها من الحياة .

النوع الثالث : معرفةُ علمِه سبحانه وتعالى بالأزليّة ، والأبديّة ، والأحديّة ، والاستغناء عن المُوجِب والمُوجِد ، والتعلُّق بكلِّ واجبٍ وجائزٍ ومستحيل ، والتوحُّد بذلك عن سائرِ العلوم[2] .

النوع الرابع : معرفةُ إرادتِه سبحانه وتعالى بالأزليّة ، والأحَديّة ، والاستغناء عن المُوجِب والمُوجِد ، والتعلُّق بما تتعلَّقُ به القُدرةُ ، والتَّوحُّد بذلك عن سائرِ الإرادات .

النوع الخامس : معرفةُ قدرتِه على المُمْكِنات بالأزليّة ، والأبديّة ، والأحَديّة ، والاستغناء عن المُوجِب والمُوجِد ، والتوحُّد بذلك عن سائرِ القُدَر .

النوع السادس :

معرفةُ سَمْعِه سبحانه وتعالى بالأزليّة ، والأبديّة ، والأحَديّة ،

(١) ونفي الكَفِيّ ، والسَّمِيّ ، والقَسِيم ، والنَّظِير ، والشَّبيه ، والظَّهِير ؛ كما يقول الإمام العز رحمه الله في كتابه (شجرة المعارف والأحوال) ص١٩ = الفصل ١٤ .

(٢) يقول الإمام العز في (شجرة المعارف والأحوال) ص٢٠ : « العلم والكلام : متعلّقان بكلِّ واجبٍ ومُمْكِنٍ ومستحيل على سبيل التعميم والتَّفْصيل » .

والاستغناء عن المُوجِب والمُوجِد ، والتعلُّق بكلِّ مَسموعٍ قديمٍ أو حادِث ، والتوحُّد بذلك عن سائرِ الأسماع[1] .

النوع السابع : معرفةُ بَصَرِهِ سبحانه وتعالى بالأزليّة ، والأبديّة ، والأحَديّة ، والاستغناء عن المُوجِب والمُوجِد ، والتعلُّق بكلِّ موجودٍ قديمٍ أو حادِث ، والتوحُّد بذلك عن سائرِ الأبصار .

النوع الثامن :

معرفةُ كلامِهِ سبحانه وتعالى بالأزلية ، والأبديّة ، والأحَديّة ، والاستغناء عن المُوجِب والمُوجِد ، والتعلُّق بجميعِ ما يتعلَّق به العلم والتوحُّد بذلك عن سائرِ أنواعِ الكلام .

فهذه الصِّفاتُ كُلُّها قائمةٌ بذاتِ الله سبحانه وتعالى ، وهي منقسمةٌ إلى ما يتعلَّقُ بغيره كشفاً ، كالعلمِ والسَّمْع والبَصَر ؛ وإلى ما يتعلَّقُ بغيره تأثيراً ، كالقُدرة ؛ وإلى ما يتعلَّقُ بغيره من غير كشفٍ ولا تأثير ، كالكَلام ؛ وأعَمُّها تعلُّقاً العلمُ والكلام ، وأخَصُّها السَّمْعُ ، ومُتوسِّطُها البَصَر .

النوع التاسع :

معرفةُ ما يجبُ سَلْبُه عن ذاتِه سبحانه وتعالى من كلِّ عَيْبٍ ونَقْص ، ومن كلِّ صفةٍ لا كَمالَ فيها ولا نُقْصَان .

---

(١) يقول الإمام العز في (شجرة المعارف والأحوال) ص٢٠ : « السَّمْعُ : متعلّقٌ بكلِّ مسموعٍ خَفِيٍّ وجَلِيٍّ » .

النوع العاشر :

معرفةُ تفرُّدِه بالإلهيّة والاختراع .

النوع الحادي عشر :

معرفةُ صفاتِه الفِعليّة[1] الصادرة عن قدرتِه الخارجةِ عن ذاتِه ، وهي منقسمةٌ إلى الجواهرِ والأعراض ؛ والأعراضُ أنواع : كالخَفْضِ والرَّفع ، والعَطاءِ والمَنْع ، والإعزازِ والإذلال[2] ، والإغناءِ والإقتار[3] ، والإماتةِ والإحياء ، والإعادةِ والإفناء .

النوع الثاني عشر :

معرفةُ سبحانه وتعالى ما له أنْ يفعلَه وأنْ لا يَفعَلَه ، كإرسالِ الرُّسُل ، وإنزالِ الكُتُب ، والتكليفِ والجَزاء ، بالثواب والعِقاب .

النوع الثالث عشر :

معرفةُ حُسنِ أفعالِه كُلِّها ، خيرِها وشرِّها ، نفعِها وضُرِّها ، قليلِها وكثيرِها ، وأنّه لاحَقَّ لأحدٍ عليه ، ولا مَلْجأ منه إلاّ إليه ، له حَقٌّ وليس عليه حَقٌّ ، ومهما قال فهو الحَسَنُ الجميلُ ، وكذلك لو عذَّبَ أهلَ السَّماواتِ والأرض وأقصاهم لكان عادِلاً في ذلك كلِّه . ولو أثابَهم وأدناهم لكان مُنْعِماً مُتَفضِّلاً بذلك كلِّه .

---

(١) في الأصل : « بالفعلية » ، والتصويب من (قواعد الأحكام) ١/٢٠٠ .

(٢) سقطت من مطبوعة (قواعد الأحكام) ١/٢٠٠ .

(٣) تحرفت في مطبوعة (قواعد الأحكام) ١/٢٠٠ إلى : (الإقناء) .

النوع الرابع عشر :

اعتقادُ جميع ما ذكرناه في حقِّ العامّة ، وهو قائمٌ مقامَ العلمِ في حقّ الخاصّة لما في تعرُّفِ ذلك مِن المشقَّةِ الظاهرة للعامّة[١] ، فإنَّ اللّهَ تعالى كَلَّفَ الخاصّةَ أن يَعرِفُوه بالأزليّة والأبديّة ، والتفرُّدِ بالإلهيّة ، وأنّه حيٌّ ، عالِمٌ ، قادِر ، مُرِيد ، سَمِيع ، بَصِير ، مُتَكلِّم ، صادِق في إخباره . وكَلَّفَ العامّةَ أنْ يَعتقِدُوا ذلك بغير[٢] وقوفِهم على أدِلَّة معرفتِه فاجتَزَأ[٣]منهم باعتقادِ ذلك .

النوع الخامس عشر من الحقوق المتعلّقة بالقُلوب :

تصديقُ القلبِ بجميعِ ما ذَكَرناه مِن الاعتقادِ والعِرْفان .

النوع السادس عشر :

النّظرُ في تعرُّفِ ذلك أو اعتقادِه وهو واجبٌ وُجوبَ الوسائل .

تمّتِ العقيدةُ بحمدِ الله وحُسْنِ توفيقِه .

---

(١) في الأصل : « العامة » ؛ والمثبت من (قواعد الأحكام) ١/٢٠١ .

(٢) في (قواعد الأحكام) ١/٢٠١ : « لِعُسرِ » بدل « بغير » ؛ وهو متّجه .

(٣) « اجتزأ » : اكتفى .

رِسَالةُ الشَّيْخِ عِزّ الدِّيْنِ بنِ عَبْدِ السَّلام
في التَّوحيد

راموز للورقة الأولىٰ والأخيرة من نسخة الظاهرية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخُ عِزُّ الدِّين بنُ عبدِ السَّلام رَحِمَهُ الله :

الحمـدُ لله الذي كَيَّفَ الكَيْف ، وتَنَـزَّهَ عن الكَـيْفِيّـة ، وأَيَّنَ الأَيْنَ وتَعزَّزَ عن الأيْنِيّة ، ووُجِدَ في كُلِّ شيء وتَقدَّسَ عن الظَّرفيّة ، وحضَر عند كلِّ شيء وتعالى عن العِنْدِيّة ، وهو أوّلُ كلِّ شيء وليس له أَوَّليّة ، وآخِرُ كلِّ شيء وليس له آخِرِيّة ، إنْ قلتَ : أين ؟ طالَبْتَهُ بالأيْنِيّة ، وإنْ قلتَ : كيف ؟ فقد طالَبْتَه بالكَيْفِيّة ، وإن قلتَ : متى ؟ فقد زاحَمْتَه بالوَقْتِيّة ، وإن قلتَ : ليس ؛ فقد عطَّلْتَه عن الكونيّة ، وإن قلتَ : لو ؛ فقد قابَلْتَه بالنَّقْصِيّة ، وإنْ قلتَ : لِمَ ؟ فقد عارضتَه في المَلَكُوتِيّة ، لا يَسبِقُ بِقَبْلِيّة ولا يَلْحَق بِبَعْدِيّة ، ولا يُقاس بِمِثْليَّة ، ولا يُقرنُ بِشَكْلِيّة ، ولا يُعاب بِزَوجِيّة ، ولا يُوصف بجوهرِيّة ، ولا يُعرفُ بِجِسميّة . لو كان سبحانَه شَبَحاً لكان معروفَ الكَمِّيَّة ، ولو كان جسماً لكان مؤتَلِفَ البِنْيَة ، بل هو واحدٌ رَدّاً على الثَّنَوِيّة ؛ صَمَدٌ رَدّاً على الوَثَنِيّة ؛ لا مِثْلَ له طعناً على الحَشْوِيّة ؛ لا كُفْءَ له ردّاً على مَن أَلحَدَ في الوَصْفِيّة ، لا يتحرَّكُ متحرِّكٌ ، بخيرٍ أو بشَرٍّ ، في سِرٍّ أو جَهر ، في بَرٍّ أو بحرٍ ، إلَّا بإرادتِه وقدرتِه رَدّاً على القَدَرِيّة[1] ؛ خَلَق الخيرَ وارتضاه ، وخلَق

(١) « القَدَرِيّة » : قوم ينكرون القَدَر ، ويقولون : إنّ كلّ إنسان خالق لفعله . انظر (الفرق بين الفِرَق) : ٩٤ .

الشرَّ وقَضّاه ، وأثابَ مَنْ أطاعَه ، وعَذَّبَ مَن عَصاه ، رَدّاً على الجَبْرِيّة[١] ؛ لا تُضاهى قدرتُه ، ولا تتناهى حِكمتُه ، تكذيباً للهُذَيْليّة[٢] ؛ حقوقه الواجبة وحججه الغالبة ولا حق لأحد عليه إذا طالبه نقضاً لقاعدة النّظامية[٣] ؛ خلَق كلّ جسم ، وما فيه من لونٍ وطعم ، وصحّةٍ وسقْم ، وذوقٍ وشمّ ، وفرح وغمّ ، إبطالاً لمذهب المعمرية[٤] ؛

---

(١) « الجَبرِيّة » : مذهب يرى أن كُلَّ ما يحدث للإنسان قد قُدِّر عليه أزلاً ، فهو مُسَيَّر لا مُخيَّر .

(٢) « الهُذَيْلِيّة » : نسبة إلى أبي الهُذَيل محمد بن الهُذَيل المعروف بالعلّاف ، اختُلِفَ في وفاته ، فقيل : سنة ٢٢٦هـ ، وقيل : ٢٣٥ ، وقيل ٢٣٧ ، من فضائحه قوله بتناهي مقدورات الباري جلّ جلالُه حتى إذا انتهت مقدوراته لا يقدر على شيء ، ولأجل هذا زعم أنَّ نعيمَ أهل الجنة وعذاب أهل النار يفنيان ، ويبقى حينئذ أهل الجنة وأهل النار خامدين ، لا يقدرون على شيء ، ولا يقدر الله جلَّ وعلا في تلك الحال على إحياء ميّت ولا على إماتة حي ، ولا على تحريك ساكن ولا على تسكين متحرك ، ولا على إحداث شيء ولا على إفناء شيء ، مع صحّة عقول الأحياء في ذلك الوقت . انظر (الفرق بين الفرق) : ١٠٢ ، و(التبصير في الدين) : ٦٩ .

(٣) « النظامية » : نسبة إلى إبراهيم بن سيار ، المعروف بالنظام ، تُوفيّ ما بين سنة ٢٢١هـ وسنة ٢٢٣هـ ، ومن فضائحه قوله : يجب على الله تعالى أن يفعل بالعبد ما فيه صلاح العبد لأنه لو لم يفعل به ما فيه صلاحه لكان قد بخل عليه ، وركب على هذا فقال : كلّ ما فعله الله بالكفار فهو صلاحهم ، ولم يكن في مقدوره أصلح مما فعل ! انظر (التبصير في الدين) لأبي المظفر الاسفراييني : ٧١ .

(٤) (المعمرية) : فرقة من (الخطابية) يزعمون أن الإمامَ بعد أبي الخطاب بن أبي زينب رجلٌ يقال له : معمر بن عباد ، وعبدوه كما عبدوا أبا الخطاب ، وزعموا أن الدنيا لا تفنى ، وأن الجنة ما يصيب الناس من الخير والنعمة والعافية ، وأن النار ما يصيب الناس من خلاف ذلك ، وقالوا بالتناسخ ، وأنهم لا يموتون ، ولكن يُرفَعون بأبدانهم إلى الملَكوت وتوضع للناس أجساد شبه أجسادهم ، واستحلوا =

عادلٌ لا يظلمُ في أحكامِه ، صادقٌ لا يخلفُ في إعلامِه ، متكلِّمٌ بكلام أزليّ لا خالقَ لكلامِه ، أنزل القرآنَ فأعجزَ بها الفصحاءَ في نظامِه إرغاماً لِحُجَجِ المردارية[1] ؛ يسترُ العُيوبَ ، ويغفرُ الذُّنوبَ لمَنْ يتوب ، فإن أَمَر عاد فالماضي لا يُعادُ رخصاً للبشَريّة ، نُنَزِّهُ عن الزَّيْفِ ، ونُقَدِّسُ عن الْحَيْف ، ونؤمنُ أنّه أَلَّفَ بين قلوبِ المؤمنين ، وأنّه أَضَلَّ الكافرين ردّاً على الهِشَامِيّة[2] ؛ ونُصدِّقُ أنَّ فُسَّاقَ هذه الأمةِ خيرٌ من اليهود والنَّصارى والمَجُوس رَدّاً على الجَعْفَرِيّة[3] ؛ ويقرُّ[4] أنّه يَرى نفسَه ويرى غيرَه ، وأنّه

= الخمر والزنا ، واستحلوا سائر المحرمات ، ودانوا بترك الصلاة . (مقالات الإسلاميين) ١/٧٧ ، و(التبصير في الدين) ص٧٣ .

(١) (المردارية) : هم أتباع أبي موسى عيسى بن صبيح ، المردار ، فرقة من المعتزلة القدرية ، يزعمون فيما يزعمون أن الناس قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، وبما هو أفصح منه . انظر (التبصير في الدين) : ٧٧ .

(٢) « الهِشَاميّة » : فرقة من المعتزلة القدرية ، أتباع هشام بن عمرو الفوطي ، خالفت أقوال الله تعالى وأقوال الرسول عليه الصلاة والسلام ، فزعموا أنَّ الله تعالى لم يُؤَلِّف بين قلوب المؤمنين ولم يُضِلّ الكافرين ، وقد قال تعالى : ﴿ لو أنفقتَ ما في الأرضِ جميعاً ما أَلَّفتَ بين قلوبهم ولكنَّ اللّهَ أَلَّفَ بينهم ﴾ [الأنفال : ٦٣] ، وزعموا أنه لا يجوز أن يسمّى وكيلاً خلاف قوله تعالى : ﴿ ربُّ المشرق والمغرب لا إله إلاّ هو فاتّخذه وكيلاً ﴾ [المزمّل : ٩] . (التبصير في الدين) : ٧٥ .

(٣) (الجَعْفَرِيّة) : فرقة من المعتزلة القدرية ، وهم أتباع جعفر بن مبشر الثقفي ، وجعفر بن حرب ، فزعم ابن مبشر أنّ فُسّاق هذه الأمة شرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة ، مع قوله بأن الفاسق موحّد وليس بمؤمن ولا كافر ، فجعل الموحّد الذي ليس بكافر شرّاً من الثنوي الكافر ، وزعم أيضاً أن إجماع الصحابة على ضرب شارب الخمر الحدّ وقع خطأ ؛ وهم غير « الجعفرية » المنتسبين إلى جعفر الصادق . انظر (الفرق بين الفِرَق) : ١٥٣ .

(٤) كذا الأصل بالياء المثناة التحتية ، والمتجه : « نقر » .

سميعٌ لِكلِّ نداء ، بَصِيرٌ بكلِّ خَفاء ، رَدّاً على الكَعِبية[١] ؛ وخلق خَلْقَه في أحسنِ فَطْرِهِ وأعادهم بالفناء في ظَلْمة الحُفْرَة ، وسَيُعِيدُهم كما بدأَهم أوّلَ مرّة ردّاً على الدَّهْرِيّة[٢] ؛ فإذا جَمَعَهم ليوم حسابِه يتجلّى لأحبابِه فَيَرَوْنَه بالبَصَرِ كما يَرى القمر ، فلا يَحتجبُ إلاّ على مَنْ أنكَرَ الرُّؤيا مِن المعتزليّة ، كيف يحتجبُ عن أحبابِه أو يُوقِفُهم دون حِجابِه ، وقد سبَقَتْ مواعيدُهُ القديمة الأزليّة : ﴿ يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ارجِعِي إلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾ [الفجر : ٢٧] أتُرَى ترضى في الجَنّات بِحُورِيّة ، أم تَقنعُ في البُستان بالحِلَلِ السُّنْدُسِيّة ، كيف يَفْرحُ المجنونُ بدون لَيْلى العامِريّة[٣] ؛ أم كيفَ يَلْتَذُّ المُحِبُّ بدون النَّفَحاتِ العَنْبَرِيّة ، أجسادٌ أُذِيبَتْ في تحقيقِ العُبُودِيّة ، وأبصارٌ سَهِرَتْ في الليالي الحِنْدِسِيّة[٤] . كيف لا تَلْتَذُّ بالمشاهَدةِ الأنسِيّة ، وأسرارٌ أُودِعَتْ في

---

(١) « الكعبيّة » : فرقة من القادرية المعتزلة ، أتباع عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي المعروف بأبي القاسم الكعبي ، من أقواله : إن الله تعالى لا يرى نفسه ولا يرى غيره ، وإنّ الله جَلَّ وعلا لا يسمع ، وإنَّ وصفَه بأنّه سميع بصير أي عليم بالمسموعات التي يسمعها غيرُه والمرئيّات التي يراها غيرُه . انظر (الفرق بين الفرق) : ١٦٦ ، و(التبصير في الدين) : ٨٤ .

(٢) « الدَّهْرِيّة » : هم الملاحدة ، الذي لا يؤمنون بالآخرة ، ويقولون ببقاء الدّهر . (المعجم الوسيط) .

(٣) ليلى العامِريّة : هي ابنة مهدي بن سعد ، أمّ مالك ، من بني كعب بن ربيعة ، صاحبة « المجنون » قيس بن الملوّح . وفي وجودِهما شكٌ كبير ، توفيت نحو سنة ٦٨هـ . انظر (الأعلام) للزركلي ٥/٢٤٩ .

(٤) « الليالي الحِنْدِسيّة » : الشديدة الظلمة .

الزجاجات القلوبية ، كيف لا تسرحُ في المناجات القربيّة ، وألْبابٌ غُذِّيَتْ باللِّبَانات الحُبِّيَّة ، كيف من لا تشر[ب] من المُدَامات الرّبيّة ، وأرواحٌ حُبِسَتْ في الأشباحِ الحِسِّيَّة ، كيف لا تَرتَعُ في الرِّياضِ القُدْسِيّة ، وتشرح في مواقِعِها العَلِيَّة ، وتشربُ من موارِدِها الرَّوِيَّة :

وتنهى ما بها مِن فَرْطِ شَوقٍ بشرحِ الحالِ عن تلكَ الشّكِيَّةْ
ويَبرُزُ حاكمُ العُشّاقِ جَهراً ويَفصِلُ عندها تلكَ القَضِيَّةْ
إذا ما خُوطِبَتْ عند التلاقِي لِمَـوْلاهـا بَـداهـا بـالتَّحِيَّـةْ
تَوَدُّ بأنَّ يومَ الفصلِ يَبقى ولا يُقْضَى لِغُصَّتِهـا قَضِيَّةْ
فيـأمرُهـا إلى جَنّـاتِ عَـدْنٍ فتـأبى أنْفُسٌ منهـا أَبِيَّـةْ
وتُقسِمُ قَطُّ لا نَظَرَتْ سِوَاه[1] ولا عَقَدَتْ لِغيرِ سِواه نيَّةْ
ولا نَظَرَتْ من الأكوانِ شيئاً ولا كـانت مـطَالِبُهـا دَنِيَّـةْ
فما هَجَرَتْ لَذِيذَ العيشِ إلاَّ لِتَحْظَى منك بالصِّلَة السَّنِيَّةْ
ويسقِيها مُدِيرُ الرَّاحِ كـأساً صَفَتْ مِن صَفْوِ صَفْوَتِه هَنِيَّةْ

(١) يقول العزّ بن عبد السلام في (شجرة المعارف والأحوال) ص٤٤ : « وإذا فَنِيَ صواحبُ يوسُفَ بن يعقوب بملاحظة جماله ، فما الظنُّ بملاحظةِ جمال مقلّبِ القلوب ، وعلاّم الغيوب . فلا تظُنَّنّ أيُّها المغرورُ أنَّ آدم أكل من الشجرة ، وأنَّ يعقوبَ بكى على يوسُف ، وأنّ رسولَ الله ﷺ بكى على إبراهيم في حال تحديق أحدٍ منهم إلى شيء من هذه الصّفات . وإنما يقع هذا وأمثالُه منهم في أحوال الغَفَلات عن ملاحظة الصّفات . فقد عَرَفنا أنّ رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي فتربّد وجهُهُ ، وعَرِق جبينُه ، وغَطَّ غطيط البَكْر [غطيط البَكْر : الصوت الذي يصدر من خياشيم الفتيّ من الإبل] ، لا يُتَصوَّرُ حينئذٍ منه أكلٌ ولا شُرب ، ولا حُزن ولا بكاء ، لامتلاء قلبه بِثِقَلِ ما نزل عليه ، وعِظَمِ ما أُوحِيَ إليه » .

إذا دارَتْ على النّدماءِ جَهْراً أحفت في البـواكرِ والعَشِيَّـةْ
تـزيـدُهُمُ ارتيـاحـاً واشتيـاقـاً إلى أنـوارِ طلعتِـه البَهِيّـةْ
وحَقِّـك إنَّ عيناً لن تُـرِيها جمـالَـك إنها أَعْـين شَقِيَّـةْ
قَتَلْتَ بِحُسْنِكَ العُشَّاقَ جَمْعاً بحَقٍّ هَـوَاكَ رِفْقاً بـالـرَّعِيَّـةْ
فلي كَبِدٌ تَذوبُ عليك شَوْقاً ولم يُبْقِ الهوى منها ليْ بَقِيَّةْ
فإنْ أقضي وما قَضَيْتُ قصدي فإنّي مِن هواكَ عـلى وَصِيَّةْ
ولَستُ بآيسٍ عند التـلاقي بأنْ تمحو أعوافَك[1] الخَـطِيَّةْ
إذا كان العطايا مِن كريمٍ فكيف أُرَدُّ عنه بلا عَـطِيَّةْ

كيف يكونُ الرَّدُّ ، وللسَّحَرِ أوقاتٌ رَبّانيّة ، وإشاراتٌ سَماويّة ، ونفحاتٌ مَلَكِيّة ، والدليلُ على صِدقِ هذه القضية : غِناءُ الأطيارِ في الأسحارِ بالألحانِ الدَّوْئِيَّة ، وتصفيقُ الأنهارِ المتكسِّرةِ في الرِّياض الرَّوضِيّة ، ورَقصُ الأغصانِ بالحِلَلِ السُّنْدُسِيّة ، والأثمارِ الجَنِيَّة ، كُلُّ ذلك إذعانٌ واعترافٌ بالوَحْدَانيّة . فيا أهلَ المحبّةِ ، إنَّ الحقَّ يَتجلّى في وقتِ السَّحَر ، ويُنادِي ألا مِن تائبٍ فأتوب عليه توبةً مَرْضِيّة ، ألا مِن مُستَغفِرٍ فأغفِر له الخطايا بالكُلِّيَّة ، ألا مِن مُستَعْطٍ فأجزل له النِّعمَة والعَطِيَّة ، ألا وإنَّ الأرواحَ إذا صَفَتْ كانت ببهجتِه ساكنةً مُضيّة ، وتساوت بالأحوال وهانَت عليها كلُّ رَزِيّة ، لا جَرَمَ أنَّ رائحةَ دموعِهم في الآفاقِ عطْرِيّة ، وبصرَهُم على بعضِ الهَجْرِ استحقُّوا الوُصُولَ مِن المراتبِ العُلْوِيّة ، وصَحَّتْ أحاديثُهم في طبقاتِ المحبِّين مُسنَدَةً مَرْوِيّة ، ورَاجُوا من غير سؤالٍ وحاجتُهم مَقضِيّة ، هذه شريعةُ الحبِّ قد

(١) (أعوافك) : جمع عَوْف ، و(العَوْف) : الضَّيْف . (لسان العرب) .

أصبحَتْ واضحةً جَلِيَّة ، يا لَها من فَوَاقٍ بَهِيّة ، وعقيدةٍ سُنِّيَّة على أصولِ مذهبِ الشافعيّةِ والحَنَفِيّةِ والمالِكيّةِ والحنبلِيّة ، عَصَمَنا اللّهُ وإيَّاكُم مِن الذين فَرقوا فمرَقوا كما يَمرُقُ السَّهمْ مِن الرَّمِيَّة ، وجعلَنا وإيَّاكم مِن الذين لهم غُرَفٌ مِن فوقِها غُرفٌ مَبنِيَّة ، وصلَّى اللّهُ على سيِّدنا محمدٍ أشرفِ البرِيّة ، وعلى آلِه وأزواجِه وخَصَّهُم بأشرفِ تحيَّة .

تمّت وبالخيرِ عمّت .

راموز لبداية ونهاية مخطوطة الوصية (نسخة الظاهرية)

وصية الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام
إلى ربّه الملك العَلّام

هذه وصيّة الشيخ عزِّ الدين بن عبدِ السَّلام إلى ربِّه المَلِكِ العَلَّام

عندَ حُضورِ وفاتِه ، وآخِرِ حياتِه ، تغمَّده اللّهُ تعالى بالرَّحمة والرضوان وأسكنه فسيحَ الجِنان ، آمين .

قال : اللهمّ إنّكَ أمرتَنا بالوَصِيّة عند حُلُولِ المَنِيَّة ، وقد تهجَّمتُ عليك ، وجعلتُ وَصِيَّتي إليك .

فأوّلُ ما تبدأ به مِن أمري ، إذا نَزلتُ قبري ، وخَلَوْتُ بِوِزْرِي ، وأسلمني أهلي في غُرْبَتي ، أنْ تُؤنِسَ وَحْشتي ، وتُوسعَ حُفْرتي ، وتُلْهِمَني جوابَ مسألتي ، ثُمّ تكتبَ على قَصَّة قصتي ، في لَوحِ صحيفتي ، بقلم عفوكَ : ﴿ اليومَ يَغْفِرُ اللّهُ لكم وهُو أرحمُ الرَّاحِمين ﴾ [يوسُف : ٩٢] .

فإذا جَمعتَ رُفاتي ، وحَشرتَني لِيوم مِيقَاتي ، ونَشرتَ صحيفةَ حَسَناتي وسَيِّئاتي ، فانظُرْ إلى عملي ، فما وجدتَه مِن خيرٍ فاصْرِفْه في زُمرةِ أوليائِك ، وما وَجدتَه مِن قبيحٍ فَمِلْ به إلى ساحِلِ عُتَقَائِك ، ثم غَرِّقْهُ في بِحار عفوِك .

ثم أَوْقِفْ عبدَك بين يدَيْك ، فإذا لم يَبْقَ له إلّا الافتقارُ إليك ، فَقِسْ بين عفوِكَ وذنبِه ، وحِلْمِك وجَهلِه ، وعِزِّك وذُلِّه ، وغِنَاك وفقرِه ، ثم افعلْ به ما أنت أهلُه .

هذه وصيّتي إليك ، تعطُّفاً بفضلِك عليك ، وأنا أشهدُ أنْ لا إله إلاَّ الله ، وأنَّ محمّداً رسولُ الله ﷺ .

تَمَّتِ الوَصِّيةُ العظيمةُ المباركة .

من كتابة العبد الحقير ، المعترف بالعجز والتقصير ، الفقير علم الدين ابن الشيخ المرحوم شمس الدين ابن الشيخ المرحوم حسن الكوي الأزهري غفر الله تعالى له ولوالديه والمسلمين ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

فهرس المحتويات

رسائل في التوحيد

صنّف الإمام العز رسائل عدّة متعلّقة بالتوحيد ، دافع في الأولىٰ عن عقيدته فأسماها « الملحة في اعتقاد أهل الحقّ » . وفي رسالته الثانية « الأنواع في علوم التوحيد » بيّن حقوق الله تعالى المتعلّقة بالقلوب ، فذكر فيها ستة عشر نوعاً منها .

وفي رسالته الثالثة في التوحيد ردّ فيها المؤلّف علىٰ أهل الملل والنِّحَل دعوتهم ، مبيّناً بدعتهم وضلالهم .

ثم خُتمت الرسائل بوصيّته التي كتبها إلىٰ ربّه الملك العلّام .